فذلوا لرهنٍ عندنا في حبالنا مصانعة يخشون منا القوارعا/ ج١/٤١٦/ط
وذاك بأنا حين نلقى عدونا نصول بضربٍ يترك العز خاشعا

فبلغ قوله قريظة والنضير[1] فغضبوا. وقال كعب بن أسد: نحن كما قال: إن لم نُغر[2] فحالف الأوس على الخزرج. فلما سمعت الخزرج بذلك قتلوا كلّ من/ عندهم من الرهن من أولاد قريظة والنضير، فأطلقوا نفراً، منهم: سليم بن أسد القرظي جد محمد بن كعب بن سليم. واجتمعت الأوس وقريظة والنضير على حرب الخزرج، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وسمي ذلك: الفجار الثاني لقتل الغلمان من اليهود. ج١/٩٧/ب

وقد قيل في قتل الغلمان غير هذا، وهو: إن عمرو بن النعمان البياضي الخزرجي قال لقومه بني بياضة: إن أباكم أنزلكم منزلة سوء، والله لا يمس رأسي ماء حتى أنزلكم منازل قريظة والنضير، أو أقتل رهنهم! وكانت منازل قريظة والنضير خير البقاع، فأرسل إلى قريظة والنضير: إما أن تخلوا بيننا وبين دياركم، وإما أن نقتل الرهن. فهموا بأن يخرجوا من ديارهم، فقال لهم كعب بن أسيد القرظي: يا قوم، امنعوا دياركم وخلوه يقتل الغلمان، ما هي إلا ليلةٌ يصيب فيها أحدكم امرأة حتى يولد له مثل أحدهم؛ فأرسلوا إليهم: إنا لا ننتقل عن ديارنا، فانظروا في رهننا فعوا لنا. فعدا عمرو بن النعمان على رهنهم فقتلهم، وخالفه عبد الله بن أبيّ بن سلول فقال: هذا بغي وإثم، [ونهاه عن قتلهم وقتال قومه من الأوس وقال له: كأني بك وقد حملت قتيلاً في عباءة يحملك أربعة رجال]. فلم يقتل هو ومن أطاعه أحداً من الغلمان وأطلقوهم؛ ومنهم: سليم بن أسد جد محمد بن كعب. وحالفت حينئذٍ قريظة والنضير الأوس على الخزرج، وجرى بينهم قتال سمي ذلك اليوم: يوم الفجار الثاني، وهذا القول أشبه بأن يسمى اليوم: فجاراً، وأما على القول الأوّل، فإنما قتلوا الرهن جزاء للغدر من اليهود، فليس بفجار من الخزرج، [إلا أن يسمى]: فجاراً لغدر اليهود.

يوم بُعاث

ثم إن قريظة والنضير جددوا العهود مع الأوس على الموازرة والتناصر، واستحكم أمرهم وجدوا في حربهم، ودخل معهم قبائل من اليهود غير من ذكرنا؛ فلما سمعت بذلك

(1) في المخطوطة: النظير.
(2) في المخطوطة: نعبر.

ج١/٤١٧/ط الخزرج جمعت وحشدت وراسلت حلفاءها من أشجع وجهينة، وراسلت الأوس/ حلفاءها من مزينة، ومكثوا أربعين يوماً يتجهزون للحرب، والتقوا ببعاث، وهي من أعمال قريظة، وعلى الأوس: حضير الكتائب بن سماك والد أسيد بن حضير[1]، وعلى الخزرج: عمرو بن النعمان البياضي، وتخلف عبد الله بن أبيّ [بن] سلول فيمن تبعه عن الخزرج، وتخلف بنو حارثة بن الحارث عن الأوس.

فلما التقوا اقتتلوا قتالاً شديداً وصبروا جميعاً، ثم إن الأوس وجدت مس السلاح، فولوا منهزمين نحو العريض؛ فلما رأى حضير[1] هزيمتهم برك وطعن قدمه بسنان رمحه وصاح: واعقراه كعقر الجمل! والله لا أعود حتى أقتل، فإن شئتم يا معشر الأوس أن تسلموني فافعلوا. فعطفوا[2] عليه، وقاتل عنه غلامان من بني عبد الأشهل يقال لهما: محمود ويزيد ابنا خليفة حتى قتلا، وأقبل سهم لا يدرى من رمى به، فأصاب عمرو بن النعمان البياضي رئيس الخزرج فقتله، [فبينا عبد الله بن أبيّ بن سلول يتردد راكباً قريباً من بُعاث يتجسس الأخبار إذ طلع عليه بعمرو بن النعمان قتيلاً في عباءة يحمله أربعة رجال، كما كان قال له؛ فلما رآه قال: ذق وبال البغي!]؛ وانهزمت الخزرج، ووضعت فيهم الأوس السلاح، فصاح صائحٌ: يا معشر الأوس، أحسنوا ولا تهلكوا إخوانكم، فجوارهم خير من جوار الثعالب! فانتهوا عنهم ولم يسلبوهم. وإنما سلبهم قريظة والنضير، وحملت الأوس حضيراً مجروحاً فمات؛ وأحرقت الأوس دور الخزرج ونخيلهم، فأجار سعد بن معاذ الأشهلي أموال بني سلمة ونخيلهم ودورهم، جزاء بما فعلوا له في الرعل، وقد تقدم ذكره، ونجى يومئذٍ الزبير بن إياس بن باطا ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي، أخذه فجز ناصيته وأطلقه، وهي اليد التي جازاه بها ثابت في الإسلام يوم بني قريظة، وسنذكره.

وكان يوم بُعاث آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج، ثم جاء الإسلام واتفقت الكلمة، واجتمعوا على نصر الإسلام وأهله، وكفى الله المؤمنين القتال. وأكثرت الأنصار الأشعار في يوم بعاث، فمن ذلك قول قيس بن الخطيم [3]الظفري الأوسي[3]:

أتعرف رسماً كالطراز المذهب ... لعمرة ركباً غير موقف راكب

ديار التي كانت ونحن على منىً ... تحل بنا لولا رجاء الركائب

(1) في المخطوطة: حصين.
(2) في المخطوطة: فَعُطِفَ.
(3-3) في المخطوطة: الأوسي الظفري.

تبدت لنا كالشمس تحت غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجب/ ج١/٤١٨/ط

ومنها:

وكنت امرأً لا أبعث الحرب ظالماً فلما أبوا شعلتها[1] كل جانب
أذنت بدفع الحرب حتى رأيتها عن الدفع لا تزداد غير تقارب
فلما رأيت الحرب حرباً تجردت لبست مع البردين ثوب المحارب
مضعفة يغشى الأنامل ريعها كأن قتيريها[1][2] عيون الجنادب
ترى قصد[2] المران تلقى كأنها تذرّع خرصانٍ بأيدي الشواطب
وسامحني ملكا هنين ومالك وثعلبة الأخيار رهط المصائب
رجالٌ متى يدعوا إلى الحرب يسرعوا كمشي الجمال المشعلات المصاعب
إذا ما فررنا كان أسوا فرارنا صدود الخدود وازورار المناكب
صدود الخدود والقنا متشاجر ولا تبرح الأقدام عند التضارب
ظأرنا كموا[3] بالبيض حتى لأنتموا أذل من السقبان بين الحلائب/ ج١/٩٨/أ
يجردن بيضاً كل يوم كريهةٍ ويرجعن حمراً جارحات المضارب
لقيتكموا[4] يوم الحدائق حاسراً كأن يدي بالسيف مخراق لاعب
ويوم بُعاثٍ أسلمتنا سيوفنا إلى حسبٍ في جذم غسان ثاقب
قتلناكموا[5] يوم الفجار وقبله ويوم بعاث كان يوم التغالب
أتت عصبٌ للأوس[6] تخطر بالقنا كمشي الأسود في رشاش الأهاضب

فأجابه عبد الله بن رواحة:

أشاقتك ليلى في الخليط المجانب نعم، فرشاش الدمع في الصدر غالب

(١) القتير: أي رؤوس مسامير الدروع وثناها؛ لأنها تكون في الجانبين.
(٢) قصد: القطعة.

(1) في المخطوطة: أشعلتها.
(2) في المخطوطة: قتيرها.
(3) في المخطوطة: طأرناكم.
(4) في المخطوطة: لقيتكم.
(5) في المخطوطة: قتلناكم.
(6) في المخطوطة: مثل أوس.

obeikandl.com

بكى إثر من شطت[1] نواه ولم يقم لحاجة محزونٍ شكا الحب ناصب
لدن غدوةً حتى إذا الشمس عارضت أراحت له من [2]لبه كل[2]، غارب/ ج١ ٤١٩/ط
نحامي على أحسابنا بتلادنا لمفتقر أو سائل الحق واجب
وأعمى هدته للسبيل سيوفنا وخصمٍ أقمنا بعد ما نجّ ثاعب
ومعتركٍ ضنكٍ يرى الموت وسطه مشينا له مشي الجمال المصاعب
برجلٍ ترى الماذي فوق جلودهم وبيضاً نقياً مثل لون الكواكب
وهم حسرٌ لا في الدروع تخالهم أسوداً متى تنشا الرماح تضارب
معاقلهم في كل يوم كريهةٍ مع الصدق منسوب السيوف القواضب

وهي طويلة. وليلى التي شبب بها ابن رواحة: هي أخت قيس بن الخطيم، وعمرة التي شبب[3] بها ابن الخطيم: هي أخت عبد الله بن رواحة، وهي أم النعمان بن بشير الأنصاري.

بعاث: بضم الباء الموحدة، وبالعين المهملة، وقال صاحب كتاب العين وحده: [وهو] بالغين المعجمة.

[ذكر غلبة ثقيف على الطائف والحرب بين الأحلاف وبني مالك

كانت أرض الطائف قديماً لعدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر. فلما كثر بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان غلبوهم على الطائف بعد قتال شديد، وكان بنو عامر يصيِّفون بالطائف، ويشتون بأرضهم من نجد، وكانت مساكن ثقيف حول الطائف، وقد اختلف الناس فيهم، فمنهم من جعلهم من إياد، فقال: ثقيف اسمه قسي بن نبت بن منبه بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دُعمي بن إيأد من معد، ومنهم من جعلهم من هوازن فقال: هو قيس بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، فرأت ثقيف البلاد، فأعجبهم نباتها وطيب ثمرها، فقالوا لبني عامر: إن هذه الأرض لا

(1) في المخطوطة: شطت الدور.
(2-2) في المخطوطة: كل لبه.
(3) في المخطوطة: شبت.

تصلح للزرع، وإنما هي أرض ضرع، ونراكم على أن آثرتم الماشية على الغراس، ونحن أناس ليست لنا مواشٍ، فهل لكم أن تجمعوا الزرع والضرع بغير مؤونة؟ تدفعون إلينا بلادكم هذه فنثيرها ونغرسها ونحفر فيها الأطواء ولا نكلفكم مؤونة. نحن نكفيكم المؤونة والعمل، فإذا كان وقت إدراك الثمر كان لكم النصف كاملاً، ولنا النصف بما عملنا.

فرغب بنو عامر في ذلك، وسلموا إليهم الأرض، فنزلت ثقيف الطائف واقتسموا البلاد وعملوا الأرض وزرعوها من الأعناب والثمار، ووفوا بما شرطوا لبني عامر حيناً من الدهر، وكان بنو عامر يمنعون ثقيفاً ممن أرادهم من العرب، فلما كثرت ثقيف وشرفت حصنت بلادها/ وبنوا سوراً على الطائف وحصنوه، ومنعوا عامراً مما كانوا يحملونه إليهم عن نصف الثمار. وأراد بنو عامر أخذه منهم، فلم يقدروا عليه، فقاتلوهم فلم يظفروا، وكانت ثقيف بطنين: الأحلاف وبني مالك، وكان للأحلاف في هذا أثرٌ عظيم، ولم يزل تعتد بذلك على بني مالك، فأقاموا كذلك.

ج١/٤٢٠/ط

ثم إن الأحلاف أثروا وكثرت خيلهم، فحموا لها حمىً من أرض بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن يقال له: جلذان، فغضب من ذلك بنو نصر وقاتلوهم عليه، ولجت الحرب بينهم. وكان رأس بني نصر: عفيف بن عوف بن عباد النصري، ثم اليربوعي، ورأس الأحلاف: مسعود بن معتب؛ فلما لجت الحرب بين بني نصر والأحلاف اغتنم ذلك بنو مالك، ورئيسهم: جندب بن عوف بن الحارث بن مالك بن حَطيط بن جشم من ثقيف لضغائن كانت بينهم وبين الأحلاف، فحالفوا بني يربوع على الأحلاف، فلما سمعت الأحلاف بذلك اجتمعوا.

وكان أول قتال كان بين الأحلاف وبين بني مالك وحلفائهم من بني نصر يوم الطائف، واقتتلوا قتالاً شديداً، فانتصر الأحلاف وأخرجوهم منه إلى وادٍ من وراء الطائف يقال له: لحب[1]، وقتل من بني مالك وبني يربوع مقتلة عظيمة في شعب من شعاب ذلك الجبل يقال له: الأبان. ثم اقتتلوا بعد ذلك أياماً مسميات، منهن: يوم عمر ذي كندة، من نحو نخلة، ومنهن: يوم كروبا من نحو حلوان، وصاح عفيف بن عوف اليربوعي في ذلك اليوم صيحة يزعمون أن سبعين حبلى منهم ألقت ما في بطنها، فاقتتلوا أشد قتال ثم افترقوا.

(١) اللحب: الطريق الواضح.

فسارت بنو مالك تبتغي الحلف من دوس وخثعم وغيرهما على الأحلاف، وخرجت الأحلاف إلى المدينة تبتغي الحلف من الأنصار على بني مالك، فقدم مسعود بن معتب على أحيحة بن الجلاح أحد بني عمرو بن عوف من الأوس، وكان أشرف الأنصار في زمانه، فطلب منه الحلف، فقال له أحيحة: والله ما خرج رجل من قومه إلى قوم قط بحلف أو غيره إلا أقرّ لأولئك القوم بشر مما أنف منه من قومه، فقال له مسعود: إني أخوك، وكان صديقاً له، فقال: أخوك الذي تركته وراءك فارجع إليه وصالحه ولو بجدع أنفك وأذنك، فإن أحداً لن يبر لك في قومك إذ خالفته؛ فانصرف عنه وزوده بسلاح وزاد، وأعطاه غلاماً كان يبني الآطام، يعني: الحصون، بالمدينة، فبنى لمسعود بن معتب أطماً، فكان أول أطم بُنِيَ بالطائف، ثم بنيت/ الآطام بعده بالطائف. ولم يكن بعد ذلك بينهم حرب تذكر، وقالوا في حربهم أشعاراً كثيرة، فمن ذلك قول محبر، وهو ربيعة بن سفيان أحد بني عوف بن عقدة من الأحلاف: ج١/٤٢١/ط

وما كنت ممن أرث الشر بينهم ... ولكن مسعوداً جناها وجندبا
قريعي ثقيفٍ أنشبا الشر بينهم ... فلم يك عنك منزعٌ حين أنشبا
عناقاً ضروساً بين عوفٍ ومالكٍ ... شديداً لظاها متركَ الطفل أشيبا
مضرمةً شباً أشبا وقودها ... بأيديهما ما أورياها وأثقبا
أصابت براء من طوائف مالكٍ ... وعوفٍ بما جرا عليها وأجلبا
كجمثورةٍ جاؤوا تخطوا مآبنا ... إليهم وتدعو في اللقاء معتبا
وتدعو بني عوف بن عقدة في الوغى ... وتدعو علاجاً والحليف المطيبا
حبيباً وحياً من رباب كتائباً ... وسعداً إذا الداعي إلى الموت ثوبا
وقوماً بمكر وثاء[1] شنت معتبٌ ... بغارتها فكان يوماً عصبصبا
فأسقط أحبال النساء بصوته ... عفيفٌ إذا نادى بنصرٍ فطرّبا

ج١/٤٢٢/ط عفيف هذا: بضم العين وفتح الفاء/ .

تم بعون الله وحسن توفيقه الجزء الأول من كتاب الكامل في التاريخ للمؤرخ القدير العلامة ابن الأثير ويليه الجزء الثاني وأوله نسب رسول الله ﷺ أسأل الله تعالى من فضله أن يعينني على إتمامه إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

(١) وثاء: أي موضع في ديار بني جحاش.